Art and Architecture Journal

P-ISSN: 2805-2838
E-ISSN: 2805-2862

VOLUME 2, ISSUE 1, 2021, 20 – 33. https://aaj.journals.ekb.eg/

The role of criticism in crystallizing the concept of contemporary plastic art

Dr. Hana Abdel Khaleq

Plastic artist, researcher and lecturer at the Faculty of Fine Arts and Architecture, (Lebanese University), majoring in art and art sciences

Résumé: L'arrivée de l'art plastique au contemporain est un moment de révolution contre les valeurs artistiques traditionnelles et les goûts bourgeois européens. Ce qui a conduit dans les années 1990 à la soi-disant « crise de l'art contemporain » avec la conclusion que « tout aujourd'hui peut être de l'art, donc l'art d'aujourd'hui est n'importe quoi. Ceci permettra de définir la spécificité de l'art contemporain et les jugements monétaires qui peuvent être portés à son égard.

Par conséquent, nous avons soulevé à travers cette recherche l'importance de la critique artistique dans le développement de la vision et l'élargissement des connaissances pour clarifier le concept d'art plastique contemporain, et l'importance de la critique artistique vis à vis du destinataire afin de lui éclairer et lui permettre d'adhérer aux nouvelles concepts esthétiques.

Ainsi, le rôle de la critique est de clarifier le concept de ces arts contemporains et de les approfondir pour découvrir la nature des éléments complexes et multiples et ce qu'ils reflètent esthétiquement et ce qu'ils expriment cognitivement. Plus le critique contemporain dispose d'une connaissance avec ouverture d'esprit, plus il peut apprécier l'esthétique de l'œuvre avec une plus grande conscience grâce à une description objective loin des préjugés, et une capacité à renouveler ses outils pour être efficaces et en phase avec l'acte de créativité ou le transcender.

Art and Architecture Journal

P-ISSN: 2805-2838
E-ISSN: 2805-2862

VOLUME 2, ISSUE 1, 2021, 20 – 33. https://aaj.journals.ekb.eg/

مقدمة

تتمثّل إحدى الحجج الرئيسية التي أثيرت ضد الفن المعاصر في أوائل التسعينيات، أثناء النقاش حول ما كان يسمى «أزمة الفن المعاصر» التأكيد على «أن أي شيء اليوم يمكن أن يكون فنًا، إذًا فإن فن اليوم هو أي شيء».. إذا أردنا العودة إلى هذا البيان نستشعر الخلط بين الحقيقة والقيمة، والذي بمجرد توضيحه سيسمح لنا بتحديد خصوصية الفن المعاصر والأحكام النقدية التي يمكن إصدارها فيما يتعلق به.

إذا كان الجزء الأول من منطق محتقري الفن التشكيلي المعاصر بأن «أي شيء اليوم يمكن أن يكون فنًا» يصف بالتالي حقيقة، خاصة بالوضع الفني الحالي - وبالتالي لتطور تاريخ الفن - والجزء الثاني «فن اليوم هو أي شيء»، يصدر حكمًا قيميًا مُلتبسًا.

يصف الجزء الأول من التفكير موقفًا حقيقيًا للغاية: تقريبًا أي نوع من «الأشياء» تم إنشاؤها أو العثور عليها، ملموسة أو غير ملموسة، مرئية أو لا مرئية، يمكنها تأليف عمل فني في عالمنا المعاصر. يمكن أن يكون الشيء عاديًا (مثل مرآة)، أو فكرة (مثل محادثة مع شخص ما) أو واقعًا غير ملموس (مثل تشتت غاز) بمثابة عمل فني. لذلك لم يعد هناك أي محتوى مستبعد في مجال الفن، «فالشيء» مهما كان شكله أو معناه المُفترض يمكن أن يطمح الآن بشكل شرعي إلى الفن.

أما فالجزء الثاني «فن اليوم هو أي شيء»، فإن هذا لا يعني أن أي شيء هو بالفعل عمل فني. ولا نعتبر أن المقترحات المقبولة في «عالم الفن» اليوم هي أقل جودة عما سبقها. لأنه لا يتم الاعتراف بالعمل الفني بمجرد اكتماله: ففي هذه اللحظة بالتحديد، هو اقتراحًا فنيًا بسيطًا، وترشيحًا خالصًا لعالم الفن من أجل الاندماج في هذا العالم، فلا يستطيع أن يرتقي إلى رتبة عمل فنيّ، إلا بتقبل الجمهور له وكذلك النقاد، على حد قول الفيلسوف الأمريكي جورج ديكي. (Dickie,1974)

وإذا كانت فئة عريضة من جمهور الفن تعبّر عن رفضها وعدم تثمينها للفن التشكيلي المعاصر فلأنها لا تجد فيه تعبيرًا عن انتظاراتها الاستيطيقية أو الجمالية، لأن مثل هذه الانتظارات توافرت في الفن الكلاسيكي وصولًا إلى الفن الحديث تقريبًا.

إن العمل الفني المعاصر لا يتحدد بالموضوع الذي يقترحه أو يقدمه الفنان فقط، بل إن هذا العمل يطرح ما وراء الموضوع. فهو يُعنى بإدماج السياق والخطاب اللذان يدوران حول نشأة وتطور فكرة إنجاز هذا العمل، وارتباطه بسياقه الزمكاني والاجتماعي، والدور الذي يلعبه الجمهور بمشاركته الفعالة، ودور الناقد ببلورة مفهوم مختلف ومتطور عما سبقه بالإضافة إلى تعزيز حضور الفنان حيث يناقش أعماله ويدافع عنها بجدارة.

P-ISSN: 2805-2838
E-ISSN: 2805-2862
VOLUME 2, ISSUE 1, 2021, 20 – 33. https://aaj.journals.ekb.eg/

لذلك سنعود هنا إلى أهمية النقد الفني في بلورة مفهوم الفن التشكيلي المعاصر، والعودة به كصلة وصل متطورة تسعى إلى تطوير الرؤية وتوسيع بيكار المعرفة. وازدياد الحاجة إلى نقاد بهذا المستوى أي غير تقليديين لتقبُّل عالم الفن المعاصر، الذي تجسّد في وسائل ليس لها أي علاقة بطبيعة الفنون التشكيلية على مرّ التاريخ، وباتت مخالفة لجميع التقاليد الفنية السابقة، الذي ما زال المتلقي يدور في فلكِها.

وبناء عليه نطرح الإشكالية التالية: هل يستطيع الناقد بلورة مفهوم الفن التشكيلي المعاصر والغوص في أعماقه مستعينًا بأوكسيجين ثقافته الفنية ومتابعته لتطور الفنون، ومدى تأثيرها على مزاجه وشخصيتة وعواطفه؟ أم المطلوب منه امتلاك معايير معاصرة للنقد الفني، بحيث يقوم بقياس الجودة الفنية بناءً عليها.

– النقد الفني من الحديث إلى المعاصر

أخذ الفنانون والفلاسفة والمؤرخون والنقاد والمتلقون مع بداية القرن التاسع عشر وظهور الحداثة في الفن، التعرف علـى الجمال كنظرية نقدية تعتمد على الدراسة والتقدير، معتمدين النظرية الواقعية لفترات من الزمن رغم ظهور نظريات نقدية أخرى ورغم تواجد اتجاهات فنية غير واقعية. وبات النقاد والمتتبعون والمهتمون يعتقدون أن الفن الذي لا يتبنى الواقعية ليس فنًا ولا يمكنه أن يربي الذوق الجمالي لدى المتلقي. ولا زال معظم النقاد في عصرنا يقيّمون فنون ما بعد الحداثة عبر منظار النظرية نفسها، لذلك يرون أن هذه الفنون تتسم بالغرابة والرداءة والفوضوية والخروج عن المألوف.

يعتبر كرومرCromer «أن النقاد قاموا بدور الوسطاء بـين الفنان وهذا الجمهور الجديد، وقاموا بتوفير طريقة للتعامل مع الفن مرتكزة على التلقائية والخيال والإستفادة من المهارات الطبيعية في محاولة لسدّ الفجوة بين الفن القديم والفن الحديث». (Cromer 1990,p.25)

عندما راجت فنون الحداثة، كان للنقاد دوراً بارزًا في مساعدة الناس لتحسين معرفتهم وفهمهم للفن الحديث وجعلهم يتمكنون من تذوق الفن بصورة أفضل. من خلال ما يكتبون بالصحافة ووسائل الإعلام، بعدما استعانت هذه الأخيرة بهم لتفسير تلك الأعمال وتقييمها من أجل تقديمها إلى الجمهور. لكن اليوم ازدادت الحاجة إلى النقد الفني المعاصر الذي يجاري التطورات الحاصلة في الإتجاهات التشكيلية المعاصرة، وما يصاحبها من غموض وتعقيد في بعض مفاهيمها وفلسفاتها. فالأعمال الفنية لم تعد تصاحب الواقع كما كانت سابقاً بل حلّقت بمفاهيمها بعيدًا عنه.

P-ISSN: 2805-2838
E-ISSN: 2805-2862
VOLUME 2, ISSUE 1, 2021, 20 – 33. https://aaj.journals.ekb.eg/

إن عملية النقد الفني اليوم وبالمفهوم المعاصر يجب ألا تكون استعراضًا فنيًا أو سردًا أدبيًا أو مادة إعلامية يسجل من خلالها الناقد الفني الأحداث والنشاطات الفنية.. إنما هي عملية تؤكد على دراسة قضايا الفنون بواقعية وجدية وتعمق أكبر، فكما تحررت الفنون التشكيلية من كافة القيود المتوارثة، وأظهرت رؤية جديدة للواقع والحياة، مما غيّر من طبيعة الفنون المكانية، بعدما هجرت موقعها التقليدي إلى فضاء أوسع. فبات لزامًا أن يتحرر النقد وأن تكون نظرة الناقد متمرّسة بقراءة الأعمال قراءة جيدة ومبدعة، وأن تتمحور أسئلته حول ماهية العمل الفني وسبر أغواره وتقنياته والمواد المستخدمة بواسطة الإدراك والوصف، التحليل والتفسير قبل إصدار الحكم وإطلاقه للجمهور.

– النقد والخارطة الفنية

عندما تعددت التيارات في الفن والنقد الفني خلال القرن العشرين، كان الفنانون يضيفون الجديد كل يوم، وكان النقد يحاول احتواء الخارطة الفنية التي كانت تتوسع وتترك أثرًا على الذوق العام.

فالنقد الفني المواكب لحركة الحداثة، كما تصفه زينات البيطار: «كان يقدّم التيارات الفنية من جهة ويبحث عن أصولها ومفرداتها في الفنون الملهمة من جهة أخرى. فكان على نقاد الفن آنذاك ترميم وتجميل وعصرنة فهم كل المؤشرات الحضارية الغريبة عنها مكانياً وزمانياً بغية فهم منطق التوليف الفني الحاصل في التيارات الحديثة الأوروبية والحضارات الأفريقية والأسيوية واللاتين – أمريكية، التي بدأت تدخل نتاجاتها تاريخ الفن المعاصر، وقد لاقى هذا التوليف صدى مقبولًا عند الذوق العام». (البيطار1997، ص.38)

هذه المحاولات أدّت إلى ما بعد الحداثة في الفن أو المعاصرة، وقادت إلى تحطيم القواعد التشكيلية المتبعة وكسر الأصول، وبات هدف الفنانين السعي إلى الفردية، ثمّ السعي إلى وصول المعنى إلى قلب المتلقي وإحساسه فيفهمه ويعيشه بداخله، بمنطقِه لا بمنطق الواقع. هذه الفردية والسعي إلى عمل فني مختلف لم يطاله خيال فنان آخر، بتقنيات علمية مبتكرة، بطبيعة الحال يتطلب نقداً فنياً بل طاقة نقدية ونظرية قائمة على العلم والإعلام معاً. وأن يعتمد على محتوى الفن ومضمونه بهدف صقل ذوق الجمهور، وتعريفه على المزايا الجديدة لتطور الفن ولتبدلاته وربما عبثيته وإمكانية ربطه بالعلوم والتاريخ وحضارة الإنسان المعاصر.

P-ISSN: 2805-2838
E-ISSN: 2805-2862
VOLUME 2, ISSUE 1, 2021, 20 – 33. https://aaj.journals.ekb.eg/

ركز أحد منظري ما بعد الحداثة في الثمانينات من القرن العشرين الناقد روزاليند كراوس (Krauss) على موضوع النقد والطريقة النقدية وعلى المضامين التي يجب أن تحملها التعبيرات التي سيبني عليها الناقد تقييمه للعمل الفني قبل إصدار الحكم النهائي على جودته. وقد رفض كراوس أسلوب النقد الذي يقوم على الوصف ودراسة السيرة الذاتية للفنان والأيقونغرافية واعتبرها أساليب جامدة. ولكي يستطيع الناقد أن يتبع أسلوب كراوس في النقد، لابد له من دراسة النظريات الفلسفية ودراسة الإنسانيات ودراسة الأدب ثم يوفق بينها ليكشف بنائية العمل الفني من خلال المنطق وأسلوب التعبير. (Gill 1999, p.110)

يعتبر النقد الفني عملية تحليلية حاضنة يجب أن تحتوي الخارطة الفنية وتشعباتها. لتمكّن الناقد من جعل الأشخاص غير القادرين على تذوق الأعمال الفنية، قادرين على إدراك القيم التي تؤدي إلى الرؤية الفنية الصحيحة. وقد ينقل الناقد من خلال تطلعاته رؤية جديدة لم تكن واضحة لدى الفنان الذي أنتج العمل الفني، فالنقد الفني كما يقول أحمد رفقي علي: «...هو طريق الرؤية الفنية السليمة المرتكز على الموضوعية والفهم السليم والدراسة، وثقافة الناقد يجب أن تكون على أعلى مستوى» (رفقي 1998، ص.155).

وإذا ما دققنا النظر في البحث عن المهمة الرئيسية للنقد الفني على الخارطة الفنية، نجدها تنحصر في تحديد قيمة العمل الفني بالإضافة إلى دوره في الكشف عن فكرته والدلالات التعبيرية الكامنة في بنيته الشكلية، ومن الممكن اعتبار المهمة الثانية أي الكشف عن فكرة العمل وتفسير دلالاته التعبيرية، هي المهمة الأكثر ضرورة وفائدة. فما الذي يميّز شخصية الناقد الفني المعاصر قبل الحديث عن دوره؟

– شخصية الناقد الفني المعاصر

الناقد الفني المعاصر هو القارئ المدرك الذي يقف فوق أو ما وراء العديد من الاهتمامات التي تمنح القارئ العادي أو المدّعي من أن يكون قادرًا على رؤية ما يعنيه العمل الفني فعلًا. فالناقد لا يمكن أن يكون بسيطًا أو ساذجًا أبدًا، فهو من أولئك الأشخاص الذين يتصفون بالمعرفة، أولئك الذين لا ينخدعون بمظاهر الأشياء.
هو شخص مثقف فنيًا، واسع الاطلاع يسعى لرفع الذائقة الفنية والتعبيرية لدى المتلقي، وذلك بطرح كتابات تنظيرية في مجال الفنون، كما يسلّط الضوء على التجارب الفنية المعاصرة، سواء على مستوى الوطن أو خارجه. فهو على حد تعبير "جيل ساراه" Gill Sarah «ذلك الشخص الذي يكتب أو يتحدث عن انطباعاته حول إنتاج الفنانين. ولا يعني ذلك أن النقد هو محاولة إستخراج العيوب، بل يعني أن يقوم الناقد بتفحص الأعمال الفنية تفحصاً دقيقاً مبنياً على قدراته الخاصة، وخبراته الفنية، وما يتمتع به من ثقافة عامة، ليقدّم تلك الأعمال إلى جمهور المتلقين بصورة مكتوبة أو منطوقة، وليساعدهم على إدراك خصائص وأبعاد ومضامين هذه الأعمال الفنية». (Gill 1992, p.2)

P-ISSN: 2805-2838
E-ISSN: 2805-2862
VOLUME 2, ISSUE 1, 2021, 20 – 33. https://aaj.journals.ekb.eg/

يؤكد على ذلك الناقد الأميركي باريت بقوله «بأن على الناقد أن لا يكون في موقع المراقب الذي يبحث عن الأخطاء في الأعمال الفنية. بل يجب أن يبحث عن الإيجابيات، وأن لا يضع نفسه في موضع المتحدي للفنان مما يجعل عملية النقد ذات صفة شخصية وليست موضوعية، فعليه أن يتجرد من الأهواء الشخصية، وأن يحكم على الأعمال الفنية من غير تحيز أو تشدد في الرأي». (Barrett 1994, p.3). فالناقد هو شخص متحمس للفن، ومن واجبه أن يشعل الحماس في الفنانين الذين ألهموه بأعمالهم الفنية بتقديمهم تجربة جديدة تستحق التقدير والحديث أو الكتابة عنها، لتقديمها من خلال الصحافة والإعلام إلى أكبر عدد ممكن من المهتمين والمحبين للفن.

لشخصية الناقد اليوم بُعداً آخر في تقييم العمل الفني التشكيلي المعاصر، وهو وضع المتلقي أمام قراءات مفتوحة، بأن يترك له الحرية في التفاعل مع العمل الفني طبقاً لمفاهيمه وإدراكه الذاتي، مع توضيح بعض النقاط الرئيسية في العمل. هو ليس وسيطًا عاديًا، كما كان سابقًا يملي رؤيته وقواعده النقدية على المتلقي، بل بات اليوم وسيطًا مبدعًا، تتشكّل رؤيته إنطلاقاً من امتزاج السياق الثقافي الذي ولد فيه العمل بروح العصر أو اللحظة الراهنة، بحيث يتخذ فيها الوعي النقدي موقفاً تأويلياً نسبياً.

هذه الازدواجية بين الناقد والمتلقي كوسيط تُغني العمل الفني المعاصر وتؤكّد فاعلية التواصل والحوار النقدي حول القيم الجمالية والفكرية لهذا الفن، وتشكّل عقلية واعية مميزة تعكس صورة إيجابية لتنمية السلوك، وصياغة أسئلة محورية تساعد المتلقي على التفاعل والتأمل.

لذلك نرى اليوم الحاجة ماسة إلى ناقد غير تقليدي، لتدريب المتذوق للفن على الرؤية التفاعلية للأشياء كحاجة ملحّة في هذا الوقت الذي يحتاج فيه الإنسان إلى الرجوع إلى ذاته ليكون الدليل للدخول إلى أي عمل فني تشكيلي ومحاولة استنطاقه والتفاعل معه. فلم تعد هناك معايير جمالية تسير وفق معيار ثابت ومحدد ومعدّ من قبل النقاد كمقياس وحيد للفنون، لأن الفنون المعاصرة لا تحاكي الصورة الواقعية كما كانت سابقاً، بل تلعب شخصية الناقد دوراً مهماً في مساندة الجمهور لتحسين معرفتهم وفهمهم لهذه الفنون، والأطر الإجتماعية والثقافية والسياسية التي ساهمت في بناء المسار الفني، وجعلهم يتمكنون من تذوق الفن بصورة أحسن.

P-ISSN: 2805-2838
E-ISSN: 2805-2862
VOLUME 2, ISSUE 1, 2021, 20 – 33. https://aaj.journals.ekb.eg/

– دور الناقد المعاصر

لكل ناقد فلسفته الخاصة به تُحدد رؤيته وممارسته، تؤكد ستولنيتز أن «الناقد الفني هو من يحاول تفسير وتوضيح العمل الفني، فقد يفسر معاني الرمز أو قد يتتبع البناء التشكيلي للعمل ويكشف عن دلالته التعبيرية وقد يصـف من خلال ما تذوقه في العمل، التأثير الذي ينبغي أن يكون لهذا العمل على المشاهد». وترى أن من أهم أغراض النقد، إيضاح العمل الفني ليفهمه الآخرين. (ستولينتز1981، ص.667)

كان دور الناقد في عصر الحداثة، موجّه ومعلّم في مقابل تعدد الاتجاهات الفنية وترجيح النواحي الجمالية. أما في ما يخص الفنون المعاصرة، فللناقد دور بارز في توجيه الجماهير وتعريفهم بكل ما هو جديد في مجال الفنون، واستنباط المعايير الجمالية والفنية والفكرية الخاصة بكل عمل فني. فيقدم نقدًا فنيًا حياديًا غير منحاز لتبصير الجمهور أيضًا بالمعايير التي يستندون إليها في إصدار الأحكام.

عندما يكون الناقد باحثاً، متذوقاً ومبدعاً في الرؤية الفنية، يستطيع أن يلعب دورًا مهمًا مع الجمهور الذي اختلطت عليه الأمور بالنسبة للمفاهيم الجمالية التي كان يعرفها سابقاً. فيعمل جاهداً على المساعدة بتوضيح الأفكار وتفسيرها، وأهمية الظروف التي قادت إليها، نتيجة تجاربه في حقل الفن واحتكاكه المباشر بالفنانين ومعايشته لأعمالهم. فيساعدهم على تطوير أفكارهم ورقي مشاعرهم، مؤكداً على جانب الإستمتاع الجمالي والفكري لدى المتلقي.

فأغلب فناني اليوم في العالم العربي ظهرت في أعمالهم صيغ تركيبية مفاهيمية لبعض العناصر الجاهزة والمستهلكة والاشياء المهملة، غير عابئين بتقديم صيغ ذات تناسق بصري يحمل جمالية محددة، فالجمال في هذا الفن ليس غاية في حد ذاته، متضامنين بذلك مع روح العصر. فالناقد هنا يلعب دور المساند الأول للفنان العربي في توضيح رؤاه الفنية في ظل الأوضاع التي يواجهها نتيجة للتحولات السياسية المضطربة التي تمر بها المنطقة العربية وتأثيرها على التحولات الفنية.

كل هذا يدعو بشكل ضروري إلى تطوير مفاهيم النقد الفني، ليكون دوره توضيح خطوات التغيير. فاذا كان الفن المعاصر يُقدم لنا بُعداً معرفياً بصرياً وفنياً فان دور النقد الفني ووسائطه إضافة بعداً نظرياً آخر يسعى لتطوير قدرات المتلقي للاندماج والتواصل والتفاعل.

– النقد الفني في العالم العربي

النقد بشكل عام ليس مختلفًا بين العالم الغربي وعالمنا العربي إلا من حيث الظروف التي تكون غالبًا غير مؤاتية للانطلاق بنفس الزمن كما يحصل في الغرب. فحسب تعبير البيطار لم يكن النقد الفني في الدول العربية «مواكباً لتلك المحاولات التجريبيـة في الفنون العربية مما سبب ازدواجية في الذوق العام العربي، والحيرة وعدم الفهم في بداية الأمر». (البيطار، م.س. ص.3)

P-ISSN: 2805-2838
E-ISSN: 2805-2862
VOLUME 2, ISSUE 1, 2021, 20 – 33. https://aaj.journals.ekb.eg/

كذلك الناقد أحمد بزون يعتبر أن «الموقف مما يسمى الفنون المعاصرة ليس سهلاً على المتلقي والناقد، بل إن العديد من الفنانين أنفسهم يرتبكون في شرح أعمالهم. الموقف صعب، لأن قسماً من الفنانين يشتغل على التجريب كعتبة للتغيير والبحث عن فن يعيش في المستقبل أيضاً، فن يتوافق ومفاهيم العصر، التي مع غياب الأيديولوجيا باتت تتبدل تماماً كالموضة. في حين أن قسماً آخر يكتفي بتخريب السائد من دون أن يفكر أساساً بالبدائل، ويدخل العمل الفني في فوضى لا تنتهي». (بزون 2009، ص. 8)

لا بد من القول بأن الفنون المعاصرة تحوي كل هذه التناقضات، لكن أبرز ما فيها أنها فنون تواصل التقارب من الثقافة الإنسانية، وتحاول نقد المرحلة السابقة، والبحث عن خيارات جديدة، وبتجدد أكثر شمولية للمفاهيم الفنية، فتقود طرق التعبير عنها بالنظرة التبادلية بين الفن والمجتمع.

فتميزت مشاريعها الفنية باعتمادها على الفكر والقضايا السياسية والمجتمعية البسيطة والعميقة بتقنيات ووسائط مفتوحة، لا يمكن حصرها. هذا التحوّل أدّى إلى هجر الأساليب التقليدية والصورة النمطية إلى عمل فني تركيبي مفاهيمي معاصر، أتاح للفنانين فرصة إقامة بناء تشكيلي ثلاثي الأبعاد، مع استخدام مختلف التقنيات والمواد التي يمكن أن تساهم في غنى العمل الفني بدلاً من التقيّد باللوحة. هذا النص التشكيلي الجديد كان وليد بيئة تكنولوجية وصناعية مع تعاظم دور الميديا في الحياة المعاصرة.

فبات لزامًا على النقد الفني في البلاد العربية أن ينمو ويتطّور مُدركًا أهمية الوعي المعرفي بجوهر النقد ورسالته الجمالية، التاريخية والاجتماعية المُفترض أن تُشكّل شخصية الناقد العلمي الجاد والمتفهم لطبيعة المتغيرات. مع ذلك لا بد من الإقرار بالعديد من الجهود الفردية الجادة التي قدَّمها باحثون ودارسون عرب في مجال النقد الفني أو البصري في العالم العربي.

وهنا نذكر المؤسسة الثقافية السويسرية، بروهلفتسيا Prohelvetia، التي طرحت العديد من الأسئلة من خلال مجموعة من ورش العمل التي ينظمها المكتب الإقليمي بالقاهرة، حيث تتناول الورش الخطاب النقدي حول الفنون المعاصرة في وسائل الإعلام المصرية. بدأت تلك المبادرة منذ ديسمبر2010 حيث أقيمت الورشة الأولى من سلسلة الورش التي تفتح المجال للحوار بين مجموعة من الصحفيين والفنانين والنقاد من الجانبين السويسري والمصري بهدف تطوير الخطاب النقدي حول الفن المعاصر في وسائل الإعلام. «يسعى المشروع إلى مناقشة تطوير الكتابة النقدية في الإعلام حول الفن المعاصر _لاسيما باللغة العربية للوصول إلى قاعدة عريضة من الجمهور العربي_ وتهدف ورش العمل إلى تشجيع الإستفادة من الدراسات الاجتماعية المختلفة للكتابة عن الفنون المعاصرة والإفادة من التفاصيل التي تقدمها، فإن الفنون المعاصرة تتفاعل مع السياق العام الذي تنشأ فيه وتتضح ملامحه فيها سواء على مستوى الشكل أو المضمون». (عبد الخالق 2019، ص. 236)

P-ISSN: 2805-2838
E-ISSN: 2805-2862
VOLUME 2, ISSUE 1, 2021, 20 – 33. https://aaj.journals.ekb.eg/

يعرف العالَم اليوم تطورات كبيرة في مجال الفنون والابداع، في وقتٍ نرى فيه الفنان العربي يتخبّط بالمآسي والحروب التي تعيشها بلاده، بالإضافة إلى موجات العنف والتطرف والنزوح وغياب الديمقراطية. ومع ذلك يلعب الفنان العربي دوراً محورياً في ظل هذه الأوضاع منفتحًا على الفنون المعاصرة التي تحاكي تطلعاته. فهل يستطيع الناقد أن يكون وسيطاً فعالاً يمنح المتذوق بعداً ثقافياً فكرياً، فنياً وجمالياً؟

– ضبابية النقد في فضاء الصورة

يحتاج الناقد قبل أن يبني تفسيره للعمل الفني على أساس متين، معاينة هذا العمل من كافة جوانبه حضوريًا وليس من خلال الصورة أو عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وهذا ما يحصل في الغالب في يومنا هذا. فالنقد من خلال صورة العمل الفني تقود المتلقي إلى ضبابية النقد وانحساره برؤية محدودة. فالناقد هنا أهمل أهمية المادة والتقنيات التي انتقاها الفنان بعناية، ليمنح المتذوق القدرة على دخول فضاء العمل عبر حواسه وتحسس ملمسه وتضاريسه.

هذه الضبابية التي باتت تغلف مفهوم النقد تملي على النقاد اليوم في عالمنا العربي إعادة تموضعهم، ليشعر المتلقي بأهمية من يمده بأدوات المعرفة التي تجعله قادرًا على التمييز بين الجيد والرديء. ويتحقق ذلك من خلال وجوده شخصيًا والالتفاف حول العمل الفني بكامل جوانبه وتفاصيله، كي يتشكل الأساس النقدي لتفسير المعاني التي تكشف عن القيم الفكرية والمعتقدات والحقائق التي شحن بها الفنان موضوع عمله.

غالباً ما يكون الفنان هو الشخص الوحيد القادر على التعبير عن تلك الأشياء ولكن الكثير من الفنانين لا يجيدون الحديث عن أعمالهم الفنية. هذا الإحجام يجعل الناقد في حاجة إلى الاهتمام بوجهة نظر الفنان حول الأشياء التي يقولها عن العمل الفني مما يسهم في عملية جمع البراهين لتحليل وتفسير تلك الأعمال. وحين يتعامل خبراء النقد مع الفن التشكيلي المعاصر لإصدار الأحكام، فإنهم يلعبون دور المكتشف من خلال الرؤية والإحساس والتشبع من كافة تفاصيل العمل، من الدوران في فضائه واكتشاف المستور منه والمعلن عنه. وهو ما يفضي إلى اكتشاف المواهب من الفنانين المبدعين المعروفين والمبتدئين، فيطبقون أحكاماً نقدية تساعد على التنبؤ بالقيم الجمالية عند هؤلاء الفنانين وتحث المتلقي إما على الإعجاب أو الرفض.

وأقول المبتدئين لأن غالبية النقاد في الوطن العربي تتناول مواضيعهم الفنانين المعروفين من دون أي اهتمام بالتجارب الحديثة لفنانين يشقون طريقهم ويستحقون الإضاءة على تجاربهم، وفي ذلك مسؤولية على النقاد أخلاقية ومهنية، تُخضع موضوعيتهم وتواضعهم وقدرتهم على اكتشاف المبدعين واعطائهم فسحة في الساحة الفنية لامتحان كبير.

P-ISSN: 2805-2838
E-ISSN: 2805-2862
VOLUME 2, ISSUE 1, 2021, 20 – 33. https://aaj.journals.ekb.eg/

أما ما يكتب على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي ما هي إلا تدوينات سريعة ومختصرة، هي انطباعات، وملاحظات، حتى لو كانت من قبل ناقد، فيمكن الاستفادة من هذه الصفحات عبر نشر رابط المادة النقدية، بسبب انتشار هذه الوسائل وسهولة المتابعة لغالبية المتلقين.. بينما النقد الفني المسؤول هو النقد الصحفي الذي يستند إلى جملة من القواعد مع معاينة العمل الفني كما ذكرنا، والذي شهدنا انحسارًا له وفقدانًا لفعاليته، مما أدّى إلى غموض مهام النقد وكذلك غموض معاييره.

– أهمية النقد الفني الصحفي

يعرف فلدمان النقد الصحفي بأنه «نوع من الأخبار يقصد منه إعلام القراء عن أحداث عالم الفن للاحتفاظ بولائهم لصحيفة أو مجلة معينة ... وطبعاً تتصف كتابة المقال بأسلوب يحاول إيجاد مرادفات كلامية للأعمال الموجودة في المعرض». (مجموعة من الباحثين1993، ص. 50)

ويتخذ هذا النوع من الكتابة الفنية من وجهة نظر فيلدمان شكل التقرير الذي يصف ما بداخل المعرض من أعمال فنية، وتكون في الغالب بقلم أحد محرري الصحيفة مما يعرّض هذا النوع من النقد إلى مخاطر عدم الدقة والقرارات المتسرعة في الحكم على الأعمال الفنية، واستبدال التحليل بالرأي الذاتي، ومحاولة الكاتب الصحفي الظهور على حساب الفنان.

طبعًا رأي فلدمان لا يمكن تعميمه فهذا الشكل من أشكال النقد يعتمد على نقاد في الصحافة يشبعوا فضول القراء بوصف الأعمال الفنية التي لا يمكنهم رؤيتها. وهناك أيضًا فئة من النقاد المتخصصين يهتموا بتقديم تفسيرات وتحليلات نظرية وفلسفية وجمالية لما تحتويه اتجاهات الأعمال الفنية المعاصرة. هذا النقاش والجدل حول الأعمال سوف ينعكس على الساحة الفنية وعلى الفنانين بالتطوير، وينعكس على الجمهور بالتعبير عن ميولهم نحو الفن بطريقة فعالة. ولا يمكن لأي شخص إنكار دور النقد الصحفي في مساعدة بعض الفنانين على تحقيق الشهرة من خلال ما يكتب عنهم.

تكمن أهمية النقد الصحفي بصفته عنصراً فاعلاً في الحركة الفنية التشكيلية بشكل خاص وفي المجتمع وفي الحركة الثقافية والفكرية بشكل عام. ويقود من خلال متابعته اليومية وتحليله وتفسيره النقدي البنّاء إلى الرقي بالذوق العام.

في حين نجد أن المحتوى الإعلامي الثقافي بوجه عام يفتقر إلى المهنية الإعلامية بتقديم ثقافة مصنوعة بعناية دقيقة لذلك الجمهور العريض. فالإعلام ما زال مُنتجاً للنمطية والتكرار واستنساخ البرامج بعيداً عن الإبتكار والتجديد، مما أفقد المؤسسة الاعلامية الثقافية القدرة على استقطاب الجمهور، وعدم القدرة الحقيقية على الإرتقاء بالفنون الإبداعية المختلفة بوصفها جوهر العمل الثقافي.

P-ISSN: 2805-2838
E-ISSN: 2805-2862
VOLUME 2, ISSUE 1, 2021, 20 – 33. https://aaj.journals.ekb.eg/

ففي العقود الأخيرة شهدت الفنون التشكيلية في الوطن العربي، قفزات متوالية ومربكة للمتابع والمتلقي على حد سواء، حتى النقد لم يُحِط ببعضها كما ينبغي. يعود ذلك ربما لاتساع رقعة استخدام وسائل التواصل وعدم الارتباط بأرض محددة. فهيمنت التقنية على الحياة البشرية، وافتقدت إلى خطاب نقدي واع يواكب العملية الفنية المعاصرة، ففقدت معه وعيًا لأجزاء من أطراف هذه العملية.

– دور النقد في بلورة مفهوم الفن التشكيلي المعاصر

يقوم النقد الفني كما ذكرنا بمهمة توضيح المفاهيم التشكيلية وتفسير المضامين وذلك بوصف وتحليل الأعمال الفنية والغوص في عمقها الإبداعي من أجل تقيّيمها من النواحي الفنية والفكرية. يهدف هذا النقد إلى رفع مستوى الذوق العام في المجتمع والرقي بالفنون وتوجيهها من خلال الإضاءة على الظروف والأحداث والفكرة التي قادت لتنفيذ هذا العمل مع ذكر جوانب الضعف والقوة به.

يعرض النقاد وجهات نظر متنوعة وواسعة النطاق حول وظيفة النقد الفني ودوره ومن أبرز هؤلاء أستاذ الفن هاري برودي Harry Broudy الذي يلخّص هذه الأغراض بقوله : «يوضح النقد الفني أسباب إعجابنا بالعمل الفني». (Dobbs 1998, p.33)
من هنا يكتسب النقد أهميته من خلال الأدوار التي يقوم بها، مستخدمًا لغة نقدية تكون الوسيط بين الناقد والمشاهد، لشمولها المفردات والمصطلحات الفنية المتعلقة بالعمل الفني ومكوناته وخاماته ومضامينه. وهذا يتطلب من الناقد إنتقاء مفردات فنية، وتفسيرات تشجع المتلقي على تحسين مستواه الثقافي. فلغة النقد هي أداة الناقد للتعبير عن جميع خبراته وملاحظاته في العمل الفني، بطريقة واضحة سليمة مرنة، من أجل أن يؤدي دوره بشكل جيد ومقبول. فيقدم الأساليب المنطقية والعقلية والابداعية لفهم أعمق للمحتوى المعرفي والفكري لأعمال معاصرة واستنتاج الأفكار وتفسيرها. فالفنون المعاصرة ليست مجرد تركيب مواد وتجميعها داخل مكان أو فضاء معين، تتعاقب عليه الإضاءة وتقنيات هندسية مختلفة، إنما هي ابداعاً جديداً، قائماً بذاته، يرتكز على تفكير جمالي يعتمد التأمل في المادة وإدراك التحولات البصرية الناتجة عن تركيبهما في الفضاء أو الفراغ المنشود. لذلك يعتبر الفنان الياس ديب أن النقد «...يرتبط بالشك ويكتمل به وقد سبّب ضعف النقد ثغرات ثقافية كثيرة» (ديب 2010، ص.14).

كل هذا أدّى إلى مفاهيم يصعب تحديدها وفق معيار ثابت أو محدد كسابقتها من الفنون التقليدية، مما طرح آفاقاً واسعة في ممارسة التنظير والنقد وطرق متعددة لقراءة العمل الفني، ومنها مشاركة المتلقي في هذا العمل والدعوة إلى القراءة المفتوحة، وهذا ربما قاد في بعض الأماكن إلى تشتيت المتلقي، وعدم وضوح رؤية يستند إليها لينطلق إلى قراءته الخاصة.

P-ISSN: 2805-2838
E-ISSN: 2805-2862
VOLUME 2, ISSUE 1, 2021, 20 – 33. https://aaj.journals.ekb.eg/

هنا لن أدخل بمدارس النقد ونظرياتها التي تناولتها الكثير من الأبحاث ووجهات النظر الحديثة سأكتفي بالحديث عن الطريقة النقدية الاكتشافية الذي سماها رالف سميث «النقد الاكتشافي» وعرّفها بأنها «تلك التقنيات التي تمكّن الناقد من إدراك القيم الجمالية في العمل الفني، ولا يهتم النقد الاكتشافي بإعطاء حكم لتقويم العمل الفني بل تكون مهمة الناقد هنا هي التحقق من العناصر الجمالية للعمل الفني بشكل كامل كلما استطاع ذلك». (مجموعة من الباحثين، م. س) ومن هنا فإن على الناقد بلورة مفهوم هذه الفنون والغوص في أعماقها لاكتشاف كنه العناصر المعقدة والمتعددة وما تعكسه جمالياً وما تعبر عنه إدراكياً. وكلما توفرت عند الناقد المعاصر المعرفة مع تقبّل التغيير كلما استطاع إدراك جمالية العمل الفني بوعي أكبر من خلال الوصف الموضوعي البعيد عن التحيز، وقدرته على تجديد أدواته ليكون فاعلاً ومواكباً لفعل الإبداع أو متجاوزاً له.

من أجل أن يقوم النقد الفني بالدور المطلوب في عالمنا العربي المعاصر وردًا على السؤال المطروح في بداية البحث: هل المطلوب من الناقد امتلاك معايير معاصرة للنقد الفني، بحيث يقوم بقياس الجودة الفنية بناءً عليها. نقترح ما يلي:

– ابتكار نظريات نقدية متصالحة ومتفاعلة مع السياقات الثقافية والفنية المعاصرة.

– المطلوب جراحة كاملة للوضع النقدي بشكل عام، وذلك بتوفير كادر نقدي عالي الخبرة منفتح الرؤية، لأن المشهد النقدي محدود للغاية في الواقع العربي.

– وضع عملية النقد الفني وأهميتها في الفنون التشكيلية المعاصرة تحت المجهر، بتوضيح خطواتها، وتطبيقاتها، لتعزيز دور الناقد.

– نقترح عمل مراجعة شاملة ودراسات مستفيضة للنظريات النقدية المعروفة حالياً، لاستخلاص المفيد منها، خاصة في هذا الزمن الذي اختلطت به الأمور.

– أن تعتمد سلطة النقد، في جزء منها، على لهجتها النزيهة، بمعنى تغطية شاملة لمعظم التجارب، بعيدا عن سلطة الغاليريهات.

خلاصة

يتم تحديد الفن المعاصر بممارسة متواطئة في هيمنة وانحلال حضارتنا، هذه من بعض الانتقادات للفن المعاصر وهي غير واقعية ومتناقضة. فالفن المعاصر هو مجموعة متجانسة بين العمل والمفهوم. عالمه مشفّر قائم على العلامات والرموز وهذا ما أبعد المتلقي عن إحساسه وما يستطيع فهمه واستيعابه فشعر بالاغتراب نوعاً ما، وجعله معزولاً بتمسكه بمفاهيم وأُسس مرّ عليها الزمن، من دون أن يدرك أن تغيّر وظيفة الفن من عصر إلى عصر هو الارتقاء الذي يجرى للإنسانية بتماهيها مع المتغيرات، وهذا ينبّه على الصلة القوية بين إنسانية الإنسان وبين الفن.

P-ISSN: 2805-2838
E-ISSN: 2805-2862
VOLUME 2, ISSUE 1, 2021, 20 – 33. https://aaj.journals.ekb.eg/

لذلك أضاء هذا البحث على أهمية دور النقد الفني كسلسلة منظمة من المواقف، لا تتوقف عند قاعات المعارض أو إحصاء اللوحات المعروضة، إنما التأكيد على دراسة قضايا الفن بعمق وموضوعية، واستيعاب الاتجاهات النقدية المختلفة، والاطلاع على كافة المستجدات الفنية، والمنجزات التشكيلية المعاصرة التي سعت إلى اللحاق بعالم التقنيات الحديثة جداً، ليهجر الفن ثبوته وسكونه وخلوده وأثره.

إن صلة النقد بالفن صلة وثيقة، ولكن يجب أن تتطور وتنفتح آفاقها في عالمنا العربي المعاصر، فلا نطلق الأحكام العشوائية على هذه الأعمال. بل على الناقد تفهم واقع الفنون مع تغيّر العصر من خلال التحليل والتمييز، وأن يكون على دراية بأسس وعناصر الفن، والمضمون، والأدوات والخامات، واللغة التي تلائم المتلقين. فهو من يُعتمد عليه في بذل الجهد الفكري والثقافي، بالإضافة إلى قدرته على اكتشاف الابتكارات الجمالية، والأفكار الحديثة، لاكتساب الخبرة وتعليم الآخرين وتوجيههم.

فكلما كان التلقي مقترناً بالنقد والتفكير، كلما كانت القدرة بتقديم معنى أكبر وأغنى لما ينطوي عليه العمل التشكيلي المعاصر.

المراجع

– البيطار، زينات (ديسمبر،1997): "النقد والتذوق العام في الفنون التشكيلية"، عالم الفكر، العدد الثاني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت.

– بزون، أحمد، "ضد الفن؟"، جريدة السفير، العدد 11390، التاريخ 2009/9/8، ص.8

– ديب، الياس، (2010): كتابات نقدية، بيروت، لبنان، مطبعة الحرية.

– ستولينتز، جيروم، (1981): النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية، تر. فؤاد زكريا، (ط.2)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان.

– عبد الخالق، هناء، (2019): فن التجهيز، إشكالية العلاقة بين المبدع والمتلقي، دار المؤلف، بيروت، لبنان.

– علي، أحمد رفقي، (1998): التذوق والنقد الفني، المفرد للنشر والتوزيع والدراسات، السعودية.

– مجموعة من الباحثين، ترجمة زياد سالم حداد، (1993): النقد الفني، (مجموعة بحوث في النقد الفني مترجمة عن اللغة الانجليزية)، ط١، دار المناهل، لبنان.

P-ISSN: 2805-2838
E-ISSN: 2805-2862
VOLUME 2, ISSUE 1, 2021, 20 – 33. https://aaj.journals.ekb.eg/

− BARRETT, Terry (1994): Criticizing Art Understanding The Contemporary, Mayfield Publishing Company, Mountain View, California. USA.

− CROMER, Jim, (1990): History Theory and Practice of Art Criticism in Art Education, USA, National Art Education Association, Reston, Virginia.

− DICKIE, George, (1974): Art and the Aesthetic: An Institutional Analysis, Ithaca-Londres, Cornell University Press.

− DOBBS, Stephen Mark (1998): Learning in and Through Art, The Getty Education Institute For The Arts, USA.

− GILL, Sarah, (1999): The Critic Sees A guide to Art Criticism, Kendall/Hunt Publishing company, USA.